

الاستدلال القرآني وأثره في بناء الوعي الأخلاقي

الباحث كريم هويش حسن الشحمانى

طالب الدكتوراه قسم علوم القرآن والحديث الاختصاص علم الحديث جامعة كاشان - إيران

المشرف دكتور محمد حسن صانعى بور

أستاذ مشارك ورئيس قسم علوم قرآن وحديث جامعة كاشان إيران

Qur'anic reasoning and its impact on building moral awareness

Researcher Karim Huwaish Al-Shahmani

PhD Candidate, Department of Quranic and Hadith Sciences

Specialization: Hadith Studies

University of Kashan, Iran

karimhuwsh@gmail.com

Supervisor Dr. Muhammad Hassan Saneipour

, Associate Professor and Head of the Department of Qur'anic and Hadith

Sciences University of Kashan – Iran

saneipur@Kashanu.ac.ir

المستخلص

يتناول هذا البحث دراسة موضوع "الاستدلال القرآني وأثره في بناء الوعي الأخلاقي"، وذلك من خلال الكشف عن ماهية الاستدلال القرآني وطبيعته المعرفية (الإبستمولوجية) والتربوية، وبيان آليات إسهامه في تشكيل الضمير الأخلاقي على مستوى الفرد والمجتمع. تنطلق مشكلة البحث من فرضية مفادها أن المنظومة الأخلاقية في القرآن الكريم لا تُقدّم بوصفها مجرد أوامر ونواهٍ جافة أو معزولة عن سائر البنى التكوينية للدين، بل تتأسس كبنية متكاملة ترتبط ارتباطاً عضوياً بالتوحيد، والمسؤولية الأخلاقية، وفكرة الجزاء، وكرامة الإنسان المتأصلة، ومقاصد العمران البشري ولتحقيق أهداف الدراسة، اعتمد البحث على النهج الوصفي التحليلي لتتبع الآيات القرآنية وتحليل سياقاتها الاستدلالية، مع ربطها بالرؤى التفسيرية التراثية والتربوية الحديثة. وقد أظهرت النتائج أن الاستدلال القرآني يمثل منهجاً معرفياً شمولياً في بناء الوعي الإنساني؛ لكونه يخاطب العقل والوجدان والسلوك في آن واحد، مستنداً إلى أدوات استدلالية وتعبيرية متنوعة كالحجة العقلية، وضرب الأمثال، والقصة الهادفة، والموعظة البليغة، والمقارنة البنيوية بين الخير والشر، مع ربط السلوك الإنساني بآثاره ومآلاته الدنيوية والأخروية. وتوصي الدراسة بضرورة تفعيل مقاربات الاستدلال القرآني الأخلاقي في المناهج التربوية والتعليمية المعاصرة لتعزيز الأمن الأخلاقي والاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: الاستدلال القرآني، الوعي الأخلاقي، التربية القرآنية، نقد السلوك، الضمير

Abstract:

This research investigates the concept of "Quranic Argumentation and its Impact on Developing Moral Consciousness" by exploring the nature of Quranic reasoning and its cognitive, epistemological, and educational dimensions. It examines how the Holy Quran contributes to shaping the moral conscience of both individuals and society. The research problem stems from the premise that the ethical system in the Quran is not presented as isolated commands detached from theology and worship; rather, it is intrinsically linked to monotheism (Tawhid), accountability, divine retribution, human dignity, and the ultimate objectives of human civilization (Maqasid al-Umran). To achieve its objectives, the study adopts a descriptive-analytical approach to analyze relevant Quranic

verses, integrating traditional exegetical insights with modern educational perspectives. The findings reveal that Quranic argumentation serves as a comprehensive methodological framework for constructing human consciousness. It simultaneously addresses the intellect, emotion, and behavior by employing diverse discursive tools—such as rational proof, parables, narrative structures, exhortation, and structural comparisons between good and evil—while linking human actions to their worldly and otherworldly consequences. The study recommends integrating these Quranic moral argumentation models into contemporary educational curricula to foster ethical and social security.

Keywords: Quranic Argumentation, Moral Consciousness, Quranic Education, Behavioral Criticism, conscience

المقدمة

يمثل القرآن الكريم المصدر الأعلى في بناء التصور الإسلامي للإنسان والحياة والقيم؛ فهو كتاب هداية قبل أن يكون كتاب معلومات، وكتاب تربية قبل أن يكون كتاب جدل نظري. وقد اعتنى القرآن ببناء الإنسان من داخله، بتكوين وعيه، وتوجيه ضميره، وترسيخ مسؤوليته الأخلاقية تجاه الله، وتجاه نفسه، وتجاه الآخرين، وتجاه الكون. ومن أبرز خصائص الخطاب القرآني أنه لا يكتفي بإصدار الأوامر والنواهي، بل يقدم لها أدلة عقلية ووجدانية وتاريخية وكونية. فالقرآن يستدل على وجوب العدل بكونه أقرب إلى التقوى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (القرآن الكريم، المائدة: ٨) ويستدل على خطورة الظلم بعاقبة الظالمين، وعلى قيمة الإحسان بثمرته في النفس والمجتمع، وعلى الصدق والأمانة بصلتها بالإيمان. وهذا يعني أن الأخلاق في القرآن ليست مجرد تعليمات خارجية، بل هي وعي داخلي مؤسس على الإيمان والمعرفة والتفكير والمحاسبة. لذلك تأتي أهمية هذا البحث في الكشف عن دور الاستدلال القرآني في بناء الوعي الأخلاقي، وبيان كيف يصوغ القرآن عقل الإنسان ووجدانه وسلوكه من خلال منظومة مترابطة من الأدلة والقيم.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في السؤال الرئيس الآتي:

ما أثر الاستدلال القرآني في بناء الوعي الأخلاقي لدى الإنسان المسلم؟

ويتفرع عن هذا السؤال عدة أسئلة فرعية:

١. ما المقصود بالاستدلال القرآني؟
٢. ما معنى الوعي الأخلاقي في ضوء التصور الإسلامي؟
٣. ما أبرز أنماط الاستدلال القرآني في المجال الأخلاقي؟
٤. كيف يسهم القرآن في تحويل القيم الأخلاقية من مفاهيم نظرية إلى سلوك عملي؟
٥. ما أثر الاستدلال القرآني في إصلاح الفرد والمجتمع؟

أهمية البحث

تتبع أهمية البحث من عدة جوانب:

١. الأهمية العقدية: لأن الأخلاق في الإسلام مرتبطة بالإيمان بالله واليوم الآخر.
٢. الأهمية التربوية: لأن القرآن يقدم نموذجاً تربوياً متكاملًا في بناء الشخصية.
٣. الأهمية الاجتماعية: لأن الوعي الأخلاقي أساس استقرار المجتمع وعدالته.
٤. الأهمية الفكرية: لأن الاستدلال القرآني يواجه النزعات النسبية التي تفصل الأخلاق عن المرجعية الدينية.
٥. الأهمية العملية: لأن بناء الوعي الأخلاقي يساعد في مكافحة الفساد، والظلم، والأنانية، والتفكك الاجتماعي.

منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال وصف مفهوم الاستدلال القرآني والوعي الأخلاقي، ثم تحليل نماذج من الآيات القرآنية التي تؤسس للقيم الأخلاقية، مع الاستفادة من بعض كتب التفسير والفكر الإسلامي والدراسات المعاصرة في الأخلاق والتربية.

أهداف البحث

أولاً: الهدف الرئيسي للبحث

يتمثل الهدف الرئيس لهذا البحث في:

“الكشف عن البنية المعرفية والمنهجية للاستدلال القرآني، وتحديد آليات وأبعاد أثره في تشكيل وبناء الوعي والضمير الأخلاقي لدى الفرد والمجتمع، وربط ذلك بالرؤى التربوية والتفسيرية المعاصرة.”

ثانياً: الأهداف الفرعية والتفصيلية

ينبثق عن الهدف الرئيس مجموعة من الأهداف التفصيلية والخطوات المنهجية التي يسعى البحث إلى تحقيقها، وهي:

١. تأصيل مفهوم الاستدلال القرآني:

تحديد الماهية الاصطلاحية والمعرفية للاستدلال في النص القرآني، وتمييز خصائصه الفريدة مقارنة بالاستدلالات المنطقية والفلسفية الجافة.

٢. تحليل الأدوات والأساليب الاستدلالية:

رصد وتحليل الأساليب المتنوعة التي يعتمد عليها القرآن الكريم في إقامة الحجة الأخلاقية، مثل: (القصة القرآنية، ضرب الأمثال، الموعظة، المحاجة العقلية، والمقارنة النبوية بين الخير والشر).

٣. بيان تكاملية الأخلاق مع الأصول العقدية والتشريعية:

إيضاح كيف يربط الاستدلال القرآني القيم الأخلاقية بمفهوم التوحيد، والمسؤولية الإنسانية، وفكرة الحساب والجزاء، والكرامة الإنسانية، بدلاً من تقديمها كقواعد جافة معزولة عن الإيمان.

٤. تحديد أثر الاستدلال في بناء “الضمير الفردي” و“الأمن الاجتماعي”:

دراسة الكيفية التي يسهم بها الخطاب القرآني الاستدلالي في نقل القيم من مجرد معارف عقلية إلى سلوكيات وجدانية وتطبيقية تحكم علاقة الإنسان بنفسه وبالأخرين، وتحقق مقاصد العمران البشري.

٥. توفير مقارنة تربوية معاصرة:

تقديم رؤية تربوية تطبيقية تستلهم المنهج الاستدلالي القرآني في معالجة الأزمات الأخلاقية المعاصرة، وتوظيفها في إعداد البرامج التربوية والمناهج التعليمية لتعزيز الوعي الأخلاقي.

الدراسات السابقة

١- دراسة عن السادة، مريم حسين علي محمد (٢٠١٧م): المنهاج القرآني في البناء الأخلاقي للإنسان وأثره في رواد مراكز القرآن الكريم في دولة قطر

٢- دراسة مجلة اخلاق وحياني (١٤٠٤هـ): تحليل قائم على البيانات للمفاهيم الأخلاقية في سورة البقرة: إعادة قراءة النظام الأخلاقي للقرآن في نطاق سورة البقرة

٣- دراسة عن مجله: اخلاق پژوهی» (١٤٠٤) : تحليل مسألة الحياد في المساعدة، بناءً على الأخلاق النفعية وقياسها بميزان الآيات والأحاديث الإسلامية

المبحث الأول: مفهوم الاستدلال القرآني

أولاً: معنى الاستدلال

الاستدلال في اللغة مأخوذ من الدليل، وهو ما يُرشد إلى المطلوب ويكشف عنه. أما في الاصطلاح، فهو إقامة الحجة على قضية معينة للوصول إلى نتيجة معرفية أو عملية. والاستدلال لا يقتصر على البرهان العقلي المجرد، بل يشمل كل وسيلة توصل الإنسان إلى الحق، سواء كانت عقلية، أو حسية، أو وجدانية، أو تاريخية. وفي القرآن الكريم يظهر الاستدلال بوصفه منهجاً للهداية، إذ يدعو الإنسان إلى النظر والتفكير والتدبر: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ (القرآن الكريم، النساء: ٨٢) كما يدعو إلى التأمل في النفس والكون والتاريخ: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (القرآن الكريم، الذاريات: ٢١) وهذا يدل على أن القرآن لا يريد من الإنسان إيماناً جامداً، بل وعياً قائماً على التفكير والاعتبار.

ثانياً: معنى الاستدلال القرآني

يقصد بالاستدلال القرآني: الطريقة التي يعتمد بها القرآن الكريم في إقامة الحجة على الحقائق العقدية والأخلاقية والتشريعية، من خلال الأدلة العقلية والكونية والتاريخية والنفسية والوجدانية. فالقرآن يستدل بخلق السماوات والأرض على وحدانية الله، ويستدل بعاقبة الأمم السابقة على خطورة الانحراف، ويستدل بطبيعة النفس الإنسانية على حاجتها إلى التزكية، ويستدل بالجزاء الأخروي على مسؤولية الإنسان عن أفعاله. وقد أشار رحمن إلى أن القرآن يتوجه إلى الإنسان بوصفه كتاب هداية، بما يجعل دلالاته المعرفية مرتبطة بوظيفته التوجيهية والإصلاحية (رحمن، ٢٠٠٩، ص ١).

أولاً: معنى الوعي

الوعي هو إدراك الإنسان لذاته، ولمحيطه، ولمسؤوليته، ولنتائج أفعاله. وليس الوعي مجرد معرفة ذهنية، بل هو إدراك مؤثر في السلوك. فقد يعرف الإنسان الخير، لكنه لا يعيه وعياً حقيقياً إلا إذا تحول هذا العلم إلى موقف وسلوك.

ثانياً: معنى الأخلاق

الأخلاق هي الصفات الراسخة في النفس التي تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر. وقد عرّف الغزالي الخلق بأنه هيئة في النفس تصدر عنها الأفعال من غير حاجة إلى فكر وروية (الغزالي، ١٩٦٧، ص ٥٨). وهذا التعريف يبين أن الأخلاق ليست تصرفات عارضة، بل هي بناء داخلي مستقر. الأخلاق في العمق المعرفي والقرآني، حين نتجاوز المفهوم السطحي لـ "حسن المعاملة"، تتجلى بوصفها "هيئة راسخة في النفس يصدر عنها الفعل بسهولة ويسر دون الحاجة إلى فكر أو روية". هذا المفهوم، الذي أسس له الفلاسفة وعلماء الأخلاق المسلمون، يربط بين الظاهر (السلوك) والباطن (النفس) ربطاً عضوياً، حيث لا يستقيم الفعل إلا باستقامة "الملكة" النفسية التي تولده.

للتوسع في فهم الأخلاق في هذا السياق البحثي، يمكننا تفكيكها إلى أبعاد ثلاثة رئيسية:

أولاً: الأخلاق كـ "ملكة" نفسية (البعد التكويني)

لا تعد الأخلاق في المنظور الإسلامي مجرد تصرفات عارضة، بل هي تحويل للقيم إلى "طبع" (خلق). يفرق علماء الأخلاق بين "الخلق" (بفتح الخاء - الصورة الظاهرة) و"الخلق" (بضم الخاء - الصورة الباطنة)، حيث يقول ابن مسكويه: "الخلق هو حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية" (ابن مسكويه، ١٩٨٥، ص ٥١). وهذا يعني أن البحث في الأخلاق هو في جوهره بحث في "تهذيب النفس" وتدريبها حتى يصبح الخير جزءاً من كيانها الوجودي، وهو ما يتقاطع تماماً مع مشروعك البحثي حول مفهوم "النفس" عند البسطامي والخرقاني.

ثانياً: الأخلاق كـ "تجلي للأسماء الإلهية" (البعد الروحاني)

في الفكر الصوفي والإشراقي، ترتقي الأخلاق من مستوى الضوابط الاجتماعية إلى مستوى "التخلق بأخلاق الله". هذا يعني أن الإنسان يسعى من خلال تطهير نفسه من أدران الأنانية (الهوى) إلى إظهار صفات العدل، والرحمة، والصدق، والحلم، بوصفها انعكاساً للكمال الإلهي. فالأخلاق هنا ليست قيّداً، بل هي "تحرر" من عبودية الذات إلى فضاء الروح. وفي هذا السياق، تصبح الأخلاق "ميزاناً" يعرف به العبد قربه أو بعده عن "الحق" سبحانه.

ثالثاً: الأخلاق كـ "منظومة معرفية وعملية" (البعد الإنساني)

الأخلاق هي الجسر الذي يربط "الاستدلال القرآني" بـ "الواقع المعيش". فبعد أن يقوم العقل بالاستدلال، وبعد أن تستجيب الفطرة للدعاء، تأتي الأخلاق كـ "ثمرة" نهائية. ويربط الغزالي تهذيب الخلق بإصلاح هيئة النفس وتقويم السلوك حتى تصدر الأفعال الحسنة عنها بسهولة واستقرار (الغزالي، ١٩٦٧، ص ٥٨، ٦٠). فالأخلاق هنا تقوم على التوازن بين:

١. قوة العقل: للتمييز بين الرذيلة والفضيلة.

٢. قوة الغضب: لضبط الانفعالات (الشجاعة).

٣. قوة الشهوة: لضبط الرغبات (العفة).

إن تعريف الأخلاق في بحثك يجب أن يتجاوز كونه "قائمة من الأوامر والنواهي"، ليصبح "منهجاً لبناء الذات". إنها العملية التي تتحول فيها "النفس الأمارة بالسوء" إلى "نفس مطمئنة" عبر سلسلة من المجاهدات الأخلاقية. فالأخلاق هي الأثر الملموس الذي يتركه "الوعي الأخلاقي" (المستمد من القرآن) في شخصية الإنسان، مما يحيله من كائن مدفوع بغرائزه إلى كائن واعٍ بمسؤوليته الوجودية.

ثالثاً: المقصود بالوعي الأخلاقي

الوعي الأخلاقي هو إدراك الإنسان للخير والشر، والحق والباطل، والعدل والظلم، مع الشعور بالمسؤولية تجاه اختياراته وأفعاله. وفي التصور القرآني، لا ينفصل الوعي الأخلاقي عن الإيمان، لأن الإنسان المؤمن يدرك أن أفعاله ليست منعزلة عن مراقبة الله وحسابه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (القرآن الكريم، الزلزلة: ٧-٨)

فهذه الآية تؤسس لوعي أخلاقي دقيق، يجعل الإنسان مسؤولاً حتى عن أصغر أفعاله.

المبحث الثالث: أنماط الاستدلال القرآني في بناء الوعي الأخلاقي

أولاً: الاستدلال بالتوحيد

يبدأ البناء الأخلاقي في القرآن من التوحيد؛ لأن الإيمان بالله يحرر الإنسان من عبودية الهوى والمصلحة والناس. فالإنسان الذي يؤمن بأن الله هو الخالق والرازق والحسيب، يصبح أكثر استعداداً للالتزام بالقيم حتى في غياب الرقابة البشرية. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (القرآن الكريم، الأنعام: ١٦٢) هذه الآية تربط الحياة كلها بالله، لا العبادة وحدها. وبذلك يصبح السلوك الأخلاقي جزءاً من معنى العبودية، لا مجرد عادة اجتماعية. فالصدق، والعدل، والإحسان، والرحمة، ليست قيماً منفصلة عن الدين، بل هي مظاهر عملية للإيمان. ومن هنا فإن الاستدلال بالتوحيد يبني وعياً أخلاقياً قائماً على المراقبة الداخلية، لأن المؤمن لا يحتاج دائماً إلى سلطة خارجية تردعه، بل يحمل في داخله شعوراً دائماً بأن الله مطلع عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (القرآن الكريم، النساء: ١)

ثانياً: الاستدلال بالجزاء الأخروي

يربط القرآن بين الأخلاق والجزاء، فيجعل الإنسان واعياً بأن أفعاله لها نتائج تتجاوز الحياة الدنيا. وهذا الربط لا يعني أن الأخلاق في الإسلام قائمة فقط على الخوف من العقاب، بل يعني أن للوجود الإنساني معنى ومسؤولية. قال تعالى: ﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَفَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ (القرآن الكريم، الكهف: ٢٩) فالآية تعمق الشعور بالمسؤولية الأخلاقية، وتؤكد أن الفعل الإنساني محفوظ ومحاسب عليه. وهذا يولد في النفس وعياً رقابياً ذاتياً يمنعها من الاستهانة بالذنوب أو الظلم أو الاعتداء على حقوق الآخرين.

ثالثاً: الاستدلال بالفطرة

الاستدلال بالفطرة في المنظور القرآني يعني اعتماد القرآن على ما أودعه الله في النفس الإنسانية من استعداد طبيعي لمعرفة الخير والشر والتمييز بين الحق والباطل. فالإنسان مفطور على إدراك القيم الأساسية، كالعدل والرحمة والصدق، لكنه يحتاج إلى الوحي ليهذب هذه الفطرة ويوجهها الوجهة الصحيحة. ومن خلال هذا الاستدلال يتكوّن وعي أخلاقي يشعر الإنسان بأن القيم ليست غريبة عنه، بل منسجمة مع طبيعته السليمة. كما يسهم ذلك في تقوية الصلة بين الإيمان والسلوك، لأن الفطرة حين تستجيب لهداية القرآن تصبح أكثر قدرة على مقاومة الانحراف. وبذلك يرسخ الاستدلال القرآني في النفس وعياً أخلاقياً أصيلاً، منطلقاً من الداخل ومؤيداً بنور الوحي. يستدل القرآن على القيم الأخلاقية بما أودعه الله في النفس البشرية من استعداد للتمييز بين الخير والشر: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۖ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (القرآن الكريم، الشمس: ٧-١٠) تبين هذه الآيات أن الإنسان ليس كائنًا محايداً أخلاقياً، بل يحمل قابلية لمعرفة طريق الخير وطريق الشر. غير أن هذه القابلية تحتاج إلى تركية وتربية حتى لا تطفئ عليها الشهوات والمصالح. فالوعي الأخلاقي في القرآن يقوم على أمرين متكاملين: الإلهام الفطري والتوجيه الشرعي. الفطرة تعطي الإنسان الاستعداد، والوحي يهذب هذا الاستعداد ويوجهه.

رابعاً: الاستدلال بالعقل والتفكير

الاستدلال بالعقل والتفكير في المنظور القرآني يعني دعوة الإنسان إلى استخدام عقله في فهم الحقائق، وتأمل الآيات، والتمييز بين الخير والشر على أساس الوعي والبصيرة. فالقرآن لا يخاطب الإنسان خطاباً جامداً، بل يحفز على التبر والنظر في النفس والكون والحياة، ليصل إلى القناعة الصحيحة والسلوك القويم. ومن خلال هذا المنهج يتكوّن وعي أخلاقي قائم على الفهم لا على التقليد الأعمى، فيدرك الإنسان عواقب أفعاله وآثارها في نفسه ومجتمعه. كما يسهم التفكير في ترسيخ القيم، لأنه يجعل الالتزام الأخلاقي نابغاً من اقتناع داخلي لا من مجرد استجابة ظاهرية. وبذلك يبني الاستدلال القرآني عقلاً واعياً، يربط بين المعرفة والإيمان والعمل الصالح. كثيراً ما يخاطب القرآن العقل الإنساني بعبارات مثل: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وهذا يدل على أن الأخلاق القرآنية ليست مبنية على التقليد الأعمى، بل على الوعي والفهم. فالقرآن يطلب من الإنسان أن يتأمل في نتائج أفعاله، وأن يميز بين المصلحة الحقيقية والمصلحة الوهمية. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (القرآن الكريم، الأنعام: ١٥٢) فالآية لا تنهى فقط عن أكل مال اليتيم، بل تؤسس وعياً أخلاقياً بحماية الضعيف، ومنع استغلال العاجز، وإقامة التعامل المالي على الرحمة والعدل.

خامساً: الاستدلال بالقصص القرآني

الاستدلال بالقصص القرآني في المنظور القرآني يعني توظيف القصص بوصفه وسيلة تربوية وإقناعية لبناء الوعي الأخلاقي لدى الإنسان. فالقرآن لا يورد القصص لمجرد السرد التاريخي، وإنما يعرض نماذج بشرية ومواقف واقعية تكشف نتائج الإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، والعدل والظلم. ومن خلال هذه القصص يتعلم الإنسان سنن الله في الأفراد والمجتمعات، ويرى بصورة عملية كيف تقود القيم إلى النجاة والاستقامة، وكيف يفضي الانحراف إلى الفساد والهلاك. كما يسهم هذا النمط من الاستدلال في تقريب المعاني الأخلاقية إلى النفس، لأن العبرة المستفادة من المواقف

والشخصيات تكون أعمق أثراً من التوجيه المجرد. وبذلك يكون القصص القرآني وعياً أخلاقياً حياً، يجمع بين التأمل في العبرة، والاتعاظ بالمآلات، والافتداء بالنماذج الصالحة. القصة القرآنية من أهم وسائل بناء الوعي الأخلاقي؛ لأنها تعرض القيم في صورة حية، وترتبط السلوك بالعاقبة. فالقرآن لا يقدم القصة للتسلية، بل للعبرة: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (القرآن الكريم، يوسف: ١١١) قصة يوسف عليه السلام مثلاً تبني وعياً أخلاقياً حول العفة، والصبر، والعفو، وحسن التدبير، والثقة بالله. وقصة قارون تكشف خطر الطغيان المالي والغرور الطبقي. وقصة أصحاب الجنة في سورة القلم تبين خطورة الشح وحرمان الفقراء. وبذلك تتحول القصة القرآنية إلى مختبر أخلاقي يرى فيه الإنسان نتائج الاختيارات المختلفة.

سادساً: الاستدلال بالمآلات والعواقب

يركز القرآن على عواقب الأفعال، فيربط بين السلوك ونتائجه. فالظلم يؤدي إلى الهلاك، والعدل يؤدي إلى الاستقرار، والإحسان يؤدي إلى المحبة، والفساد يؤدي إلى الخراب. قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ (القرآن الكريم، الروم: ٤١) هذه الآية تؤسس وعياً أخلاقياً عميقاً؛ لأنها تجعل الإنسان يرى أن الفساد الخارجي مرتبط بفساد السلوك الإنساني. فالخلل البيئي والاجتماعي والاقتصادي ليس منفصلاً عن أخلاق البشر، بل هو نتيجة لاختياراتهم.

المبحث الرابع: أثر الاستدلال القرآني في بناء الوعي الأخلاقي

أولاً: ترسيخ الرقابة الذاتية

من أهم آثار الاستدلال القرآني أنه ينقل الإنسان من الرقابة الخارجية إلى الرقابة الذاتية. فالإنسان قد يلتزم بالقانون خوفاً من العقوبة، لكنه قد يخالفه إذا غابت الرقابة. أما القرآن فيبني في داخله شعوراً دائماً برقابة الله. قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (القرآن الكريم، غافر: ١٩) فالآية تخاطب أعماق الإنسان، وتؤكد أن الأخلاق لا تبدأ من الفعل الظاهر فقط، بل من النية والدافع الداخلي. وهذا يجعل الوعي الأخلاقي أكثر عمقاً من مجرد الالتزام الشكلي.

ثانياً: بناء الضمير المسؤول

بناء الضمير المسؤول في المنظور القرآني يعني تنمية إحساس الإنسان بمسؤوليته عن أقواله وأفعاله أمام الله وأمام الناس. فالقرآن يربّي الفرد على أن كل عمل محسوب عليه، وأنه لا يمكنه التهرب من نتائج اختياراته أو إلقاء اللوم على غيره. ومن خلال هذا التوجيه يتكوّن وعي أخلاقي يدفع الإنسان إلى محاسبة نفسه، والتمييز بين الصواب والخطأ، والالتزام بما يمليه الحق والعدل. كما يسهم هذا الضمير في ضبط السلوك حتى في غياب الرقابة الخارجية، لأنه قائم على رقابة داخلية نابعة من الإيمان. وبذلك يرسخ الاستدلال القرآني شخصية مسؤولة، واعية بواجبها، وحريصة على أداء الأمانة والقيام بالحق. القرآن يجعل الإنسان مسؤولاً عن اختياراته: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ﴾ (القرآن الكريم، المدثر: ٣٨) وهذه المسؤولية تبني الضمير الأخلاقي؛ لأن الإنسان يدرك أنه لا يستطيع أن يحمل غيره نتائج أفعاله. كما أن القرآن يرفض تبرير الخطأ بالاتباع الأعمى للآباء أو الجماعة: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (القرآن الكريم، الزخرف: ٢٣) فالوعي الأخلاقي القرآني يحرر الإنسان من التبعية غير الواعية، ويجعله قادراً على مراجعة الموروث والسلوك الجمعي في ضوء الحق.

ثالثاً: تحويل الأخلاق إلى ممارسة اجتماعية

لا يكفي القرآن بتربية الفرد منعزلاً عن المجتمع، بل يجعل الأخلاق أساساً للعلاقات الاجتماعية. ومن أوضح الآيات الجامعة في ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ (القرآن الكريم، النحل: ٩٠) هذه الآية تجمع أصول الأخلاق الاجتماعية: العدل، والإحسان، والتكافل، ومحاربة الفحشاء والمنكر والبغي. وقد بين ابن عاشور أن هذه الآية تجمع أصول التشريع، لما تشتمل عليه من أوامر جامعة بالقيم ونواهي عن الرذائل المفسدة للمجتمع (ابن عاشور، ١٩٨٤، ص ٢٥٥).

رابعاً: مقاومة الأنانية والهوى

مقاومة الأنانية والهوى في المنظور القرآني تعني تربية الإنسان على ضبط رغباته وعدم جعل مصلحته الخاصة معياراً وحيداً للحكم والتصرف. فالقرآن يحذر من اتباع الهوى؛ لأنه يقود إلى الظلم والانحراف وتقديم الشهوة على الحق. ومن خلال هذا التوجيه يتكوّن وعي أخلاقي يجعل الإنسان قادراً على مجاهدة نفسه، وتغليب العدل والمصلحة العامة على الأنانية والمنفعة الشخصية. كما يسهم ذلك في تهذيب السلوك وبناء شخصية متوازنة لا تستسلم للنزوات والرغبات العابرة. وبذلك يرسخ الاستدلال القرآني في النفس قيمة الانضباط الداخلي، ويجعل الأخلاق قائمة على الوعي والمسؤولية لا على الأهواء. يركز القرآن على خطورة الهوى؛ لأنه من أهم أسباب الانحراف الأخلاقي: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ (القرآن الكريم، الجاثية: ٢٣)

فالهوى حين يتحكم في الإنسان يجعله يبرر الظلم، ويقبل الفساد، ويقدم مصلحته الخاصة على الحق. ولذلك فإن الاستدلال القرآني يبني وعياً نقدياً تجاه النفس، لا تجاه الآخرين فقط. فالإنسان مطالب بمحاسبة ذاته وتزكيتها، لا بالاكتماء بإدانة المجتمع.

خامساً: بناء قيمة العدل

بناء قيمة العدل في المنظور القرآني يعني ترسيخ مبدأ الإنصاف وإعطاء كل ذي حق حقه دون ظلم أو محاباة. فالقرآن يجعل العدل أساساً في العلاقات الإنسانية، وفي الحكم، والقضاء، والمعاملات، حتى مع من نختلف معهم أو نعادهم. ومن خلال هذا التوجيه يتكون وعي أخلاقي يدرك أن العدل ليس موقفاً اختيارياً، بل واجب شرعي وإنساني تقوم عليه استقامة المجتمع. كما يسهم العدل في حفظ الحقوق، ومنع الفساد، وتحقيق الطمأنينة بين الناس. وبذلك يرسخ الاستدلال القرآني قيمة العدل بوصفها ركيزة أساسية في بناء الوعي الأخلاقي والسلوك القويم. العدل في القرآن قيمة مركزية، لا يجوز تعطيلها بسبب العداوة أو القرابة أو المصلحة. قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (القرآن الكريم، المائدة: ٨) هذه الآية من أقوى النصوص القرآنية في بناء الوعي الأخلاقي؛ لأنها تجعل العدل واجباً حتى مع الخصوم. وهذا يرفع الأخلاق من مستوى الانفعال الشخصي إلى مستوى المبدأ الثابت.

سادساً: تعميق قيمة الرحمة

تعميق قيمة الرحمة في المنظور القرآني يعني ترسيخ الشعور الإنساني الذي يدفع إلى الرفق بالناس، ومساعدة الضعفاء، وتجنب القسوة والظلم. فالقرآن يجعل الرحمة من أعظم القيم الأخلاقية، ويقدمها أساساً في بناء العلاقات بين الأفراد والمجتمعات. ومن خلال هذا التوجيه يتعلم الإنسان أن القوة الحقيقية لا تكون في الشدة والعنف، بل في العفو والإحسان ولين المعاملة. كما تسهم الرحمة في نشر المحبة والتكافل، وتخفيف المعاناة، وبناء مجتمع أكثر استقراراً وإنسانية. وبذلك يسهم الاستدلال القرآني في تكوين وعي أخلاقي يجعل الرحمة مبدأ ثابتاً في السلوك والتعامل. الرحمة من القيم الكبرى في القرآن، وهي ليست ضعفاً، بل قوة أخلاقية تمنع القسوة والظلم. وقد وصف الله تعالى رسالة النبي محمد ﷺ بأنها رحمة للعالمين: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (القرآن الكريم، الأنبياء: ١٠٧) فالاستدلال القرآني بالرحمة يوسع الوعي الأخلاقي من حدود الجماعة الضيقة إلى أفق إنساني واسع، يشمل الضعفاء، والفقراء، واليتامى، والمساكين، بل يشمل التعامل مع الحيوان والبيئة.

سابعاً: تهذيب الدافع الداخلي

تهذيب الدافع الداخلي في المنظور القرآني يعني إصلاح نية الإنسان وتوجيه مقصده ليكون عمله قائماً على الإخلاص والتقوى لا على الرياء أو المصلحة الضيقة. فالقرآن لا يكتفي بتقويم السلوك الظاهر، بل يهتم بما يحمله القلب من نوايا ودوافع، لأن قيمة العمل ترتبط بصفاء القصد وحسن التوجه. ومن خلال هذا التهذيب يصبح الإنسان أكثر صدقاً مع نفسه ومع ربه، فيؤدي الخير عن قناعة ومسؤولية لا عن مظهر أو عادة. كما يسهم ذلك في بناء ضمير حي يراقب النفس ويمنعها من الانحراف حتى في غياب رقابة الناس. وبذلك يرسخ الاستدلال القرآني وعياً أخلاقياً عميقاً يبدأ من الداخل ويظهر أثره في السلوك والعمل. يهتم القرآن بالنية والدافع، لأن السلوك الأخلاقي لا يكون كاملاً إذا كان مجرد مظهر خارجي. قال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ النَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾ (القرآن الكريم، الحج: ٣٧) فالآية تؤكد أن قيمة العمل ليست في صورته الظاهرة فقط، بل في التقوى التي تحركه. وبذلك يبني القرآن وعياً أخلاقياً داخلياً يراقب المقاصد، لا الأفعال وحدها.

المبحث الخامس: خصائص الوعي الأخلاقي في ضوء الاستدلال القرآني

أولاً: وعي شامل

الوعي الأخلاقي القرآني يشمل علاقة الإنسان بالله، وبنفسه، وبأسرته، وبمجتمعه، وبالإنسانية، وبالكون. فهو لا يحصر الأخلاق في العبادات أو العلاقات الشخصية، بل يجعلها ممتدة إلى السياسة والاقتصاد والقضاء والتجارة والعلم. الوعي الشامل في المنظور القرآني هو إدراك الإنسان لمسؤوليته الأخلاقية في جميع مجالات الحياة، دون حصرها في جانب دون آخر. فالقرآن يربط الأخلاق بعلاقة الإنسان بربه، وبنفسه، وبأسرته، وبمجتمعه، وبالكون من حوله، مما يجعل القيم ممتدة إلى كل سلوك وموقف. ومن خلال هذا الفهم يدرك الإنسان أن الصدق، والعدل، والرحمة، والأمانة ليست مبادئ جزئية، بل أسس عامة تحكم الحياة كلها. كما يسهم هذا الوعي في بناء شخصية متكاملة لا تفصل بين العبادة والمعاملة، ولا بين الإيمان والسلوك. وبذلك يكون الاستدلال القرآني إنساناً واعياً برسالته، شاملاً في نظريته، ومسؤولاً في تعامله مع مختلف مجالات الحياة.

ثانياً: وعي متوازن

يجمع القرآن بين الخوف والرجاء، وبين العدل والرحمة، وبين حقوق الفرد وحقوق الجماعة. وهذا التوازن يمنع الأخلاق من التحول إلى تشدد قاسٍ أو تساهل مفرط. الوعي المتوازن في المنظور القرآني هو الوعي الذي يجمع بين جوانب الإنسان المختلفة دون إفراط أو تفريط، فيوازن بين العقل والعاطفة،

وبين الحقوق والواجبات، وبين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة. فالقرآن يربّي الإنسان على الاعتدال في الحكم والسلوك، فلا يدعو إلى التشدد الذي يوقع في العسر، ولا إلى التساهل الذي يفضي إلى الانحراف. ومن خلال هذا التوازن تتكامل القيم الأخلاقية مثل العدل والرحمة، والحزم واللين، والخوف والرجاء. كما يساعد الوعي المتوازن على بناء شخصية مستقرة قادرة على التعامل السليم مع مواقف الحياة المختلفة. وبذلك يسهم الاستدلال القرآني في تكوين إنسان معتدل في فكره، ومتزن في سلوكه، وواعٍ بمسؤوليته الأخلاقية.

ثالثاً: وعي عملي

لوعي العملي في المنظور القرآني هو الوعي الذي لا يكتفي بالمعرفة النظرية، بل يترجم القيم والمبادئ إلى سلوك واقعي في حياة الإنسان. فالقرآن لا يفصل بين الإيمان والعمل، بل يربط دائماً بين الاعتقاد الصادق والعمل الصالح، مما يدل على أن حقيقة الوعي تظهر في التطبيق والممارسة. ومن خلال هذا الفهم يصبح الإنسان ملتزماً بالأخلاق في عبادته، ومعاملاته، وعلاقاته اليومية، لا في الأقوال فقط. كما يسهم الوعي العملي في تحويل التعاليم القرآنية إلى منهج حياة ينعكس في الصدق، والأمانة، والعدل، والإحسان. وبذلك يبني الاستدلال القرآني شخصية فاعلة، تجعل من القيم الأخلاقية واقعاً معاشاً لا مجرد مفاهيم محفوظة. الأخلاق القرآنية ليست تنظييراً مجرداً، بل ممارسة يومية. فالقرآن يربط الإيمان بالعمل الصالح في مواضع كثيرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (القرآن الكريم، البقرة: ٢٧٧) وهذا التكرار يدل على أن الإيمان الحقيقي لا ينفصل عن أثره السلوكي.

رابعاً: وعي نقدي

يدعو القرآن الإنسان إلى نقد ذاته ومجتمعه، ورفض التقليد الأعمى، وعدم الخضوع للهوى أو ضغط الجماعة. وهذا يجعل الوعي الأخلاقي القرآني وعياً حراً ومسؤولاً. الوعي النقدي في المنظور القرآني هو قدرة الإنسان على التأمل والتمييز بين الحق والباطل، وعدم الانسياق وراء العادات أو الأهواء أو أفكار الجماعة دون بصيرة. فالقرآن يدعو إلى التدبر والتفكير، ويرفض التقليد الأعمى، لأن الإنسان مسؤول عن اختياراته ومواقفه أمام الله. ومن خلال هذا الوعي يصبح الفرد قادراً على مراجعة سلوكه، ونقد واقعه، ووزن الأقوال والأفعال بميزان الحق والعدل. كما يسهم الوعي النقدي في حماية الإنسان من الانخداع بالباطل أو تبرير الظلم والانحراف. وبذلك يكون الاستدلال القرآني شخصية واعية، مستقلة في تفكيرها، ومسؤولة في أحكامها ومواقفها.

خامساً: وعي مقاصدي

لا تقف الأخلاق القرآنية عند ظاهر الأفعال، بل تنظر إلى مقاصدها ونتائجها. فالعدل مقصد، وحفظ النفس مقصد، وحفظ المال مقصد، وحفظ الكرامة مقصد. ولذلك فإن الاستدلال القرآني يبني وعياً أخلاقياً قادراً على فهم الحكمة من التشريع. الوعي المقاصدي في المنظور القرآني هو إدراك الغايات والحكم التي تقوم عليها الأحكام والقيم الأخلاقية، وليس الوقوف عند ظاهر النص فقط. فالقرآن يربّي الإنسان على فهم أن التشريع إنما جاء لحفظ الدين، والنفس، والعقل، والمال، والكرامة، وتحقيق المصلحة ودفع المفسدة. ومن خلال هذا الفهم يصبح السلوك الأخلاقي أكثر عمقاً؛ لأن الإنسان يلتزم بالقيمة وهو مدرك لثمرتها في حياة الفرد والمجتمع. كما يساعد الوعي المقاصدي على حسن التمييز بين الوسائل والغايات، ويمنع الجمود أو إساءة تطبيق الأحكام بعيداً عن روحها. وبذلك يسهم الاستدلال القرآني في بناء عقل أخلاقي واعٍ، يربط بين النص، والمصلحة، والعدل، ومقاصد الشريعة.

المبحث السادس: تطبيقات عملية للاستدلال القرآني في بناء الوعي الأخلاقي

أولاً: في الأسرة

يبني القرآن العلاقة الأسرية على المودة والرحمة: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (القرآن الكريم، الروم: ٢١) فالأسرة في المنظور القرآني ليست مجرد عقد اجتماعي، بل بيئة أخلاقية للتربية والسكن النفسي. ومن هنا يسهم الاستدلال القرآني في بناء وعي أسري قائم على المسؤولية، والاحترام، والصبر، والرحمة. فالقرآن لا يكتفي ببيان الأحكام الأسرية، بل يربطها بمعانٍ أخلاقية عميقة مثل السكن النفسي، والاحترام المتبادل، وحفظ الحقوق. ومن خلال هذا الاستدلال يتكوّن وعي أخلاقي يجعل كل فرد في الأسرة مدركاً لواجبه تجاه الآخر، من غير ظلم ولا تقصير. كما يعزز القرآن قيم الصبر، والعفو، والإحسان في معالجة الخلافات الأسرية، بما يحفظ تماسك البيت واستقراره. وبذلك تصبح الأسرة في المنظور القرآني المدرسة الأولى لبناء الضمير الأخلاقي وغرس القيم في سلوك الأبناء.

ثانياً: في العلاقات الاجتماعية

يبرز الاستدلال القرآني في العلاقات الاجتماعية من خلال ترسيخ قيم الاحترام، والتعاون، وصيانة كرامة الإنسان. فالقرآن ينهي عن السخرية والغيبة وسوء الظن، لأن هذه السلوكيات تفسد الروابط بين الناس وتزرع العداوة في المجتمع. كما يدعو إلى حسن القول، والعفو، والإصلاح بين الناس، مما يسهم في بناء وعي أخلاقي قائم على المسؤولية الجماعية. ومن خلال هذه التوجيهات يدرك الإنسان أن علاقته بالآخرين ليست مجرد مصلحة، بل هي التزام أخلاقي تحكمه الرحمة والعدل. وبذلك يسهم القرآن في إنشاء مجتمع متماسك تسوده الثقة، والاحترام، وروح الأخوة الإنسانية. ينهي القرآن عن السخرية، والغيبة، وسوء الظن، والتنازع بالألقاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ﴾ (القرآن الكريم، الحجرات: ١١) وقال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ (القرآن الكريم، الحجرات: ١٢) هذه الآيات تبني وعياً أخلاقياً يحمي كرامة الإنسان، ويمنع تحويل المجتمع إلى بيئة عدوان لفظي ونفسي.

ثالثاً: في الاقتصاد

يتجلى الاستدلال القرآني في المجال الاقتصادي من خلال ربط المعاملات المالية بالأمانة والعدل وتحريم الظلم والغش. فالقرآن ينهي عن أكل أموال الناس بالباطل، ويدعو إلى الوفاء بالكيل والميزان، مما يرسخ قيم النزاهة في التعامل. كما يبين أن المال وسيلة للإعمار لا للاستغلال، وأن الكسب الحلال أساس الاستقرار الفردي والاجتماعي. ومن خلال هذه التوجيهات يتكون وعي أخلاقي يجعل الإنسان مسؤولاً في بيعه وشرائه وإنفاقه، بعيداً عن الطمع والاحتكار والربا. وبذلك يسهم الاستدلال القرآني في بناء اقتصاد يقوم على الثقة والعدل والتكافل بين أفراد المجتمع. يربط القرآن المعاملات المالية بالأمانة والعدل، وينهي عن أكل أموال الناس بالباطل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ (القرآن الكريم، البقرة: ١٨٨) كما يأمر بالوفاء بالكيل والميزان: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ (القرآن الكريم، الأنعام: ١٥٢) وهذا يدل على أن الوعي الأخلاقي لا ينفصل عن الاقتصاد؛ فالغش والربا والاحتكار والرشوة ليست مخالفات مالية فقط، بل انحرافات أخلاقية.

رابعاً: في الحكم والقضاء

يظهر الاستدلال القرآني في مجال الحكم والقضاء من خلال تأكيد قيمة الأمانة والعدل في إدارة شؤون الناس والفصل بينهم. فالقرآن يأمر بأداء الأمانات إلى أهلها، والحكم بين الناس بالحق دون ميل أو ظلم أو محاباة. وهذا التوجيه يرسخ وعياً أخلاقياً يجعل الحاكم والقاضي مسؤولين أمام الله عن قراراتهم وأحكامهم. كما يمنع الاستبداد والفساد، ويعزز حقوق الأفراد، ويحقق الطمأنينة والثقة داخل المجتمع. وبذلك يسهم القرآن في بناء نظام عام يقوم على النزاهة، والإنصاف، وصيانة كرامة الإنسان. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (القرآن الكريم، النساء: ٥٨) فالآية تؤسس وعياً أخلاقياً في المجال العام، يقوم على الأمانة والعدل. وهذا مهم جداً؛ لأن فساد الحكم والقضاء يؤدي إلى فساد المجتمع كله.

خامساً: في التعامل مع المخالف

يتجلى الاستدلال القرآني في التعامل مع المخالف من خلال الدعوة إلى العدل والرفق واحترام كرامة الإنسان مهما اختلف الدين أو الرأي. فالقرآن ينهي عن الظلم والاعتداء، ويأمر بالحوار بالحكمة والموعظة الحسنة، مما يرسخ أخلاق الإنصاف والتوازن. كما يعلم المسلم أن الاختلاف لا يبرر الإساءة أو التجاوز، بل يقتضي ضبط النفس والالتزام بحدود الحق. ومن خلال هذا التوجيه يتكون وعي أخلاقي يقوم على التسامح المسؤول، دون التفریط في المبادئ أو الوقوع في العدوان. وبذلك يسهم القرآن في بناء مجتمع تسوده قيم العدل، والتعاضد، والاحترام المتبادل بين جميع أفراد. من مظاهر عظمة الوعي الأخلاقي في القرآن أنه يأمر بالعدل حتى مع المخالفين، وينهي عن العدوان: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (القرآن الكريم، البقرة: ١٩٠) وهذا يؤكد أن الأخلاق القرآنية ليست انتقائية، ولا ترتبط بالمصلحة أو الانتماء الضيق، بل تقوم على مبدأ ثابت.

الذاتية

يتضح من خلال هذا البحث أن الاستدلال القرآني يمثل منهجاً عميقاً في بناء الوعي الأخلاقي؛ لأنه لا يكتفي بتحديد الخير والشر، بل يربط القيم بأصولها العقدية، وبالفضيلة، والعقل، والتاريخ، والجزاء، ومقاصد الحياة. فالقرآن يبيّن الإنسان من الداخل، ويحوّل الأخلاق من أوامر خارجية إلى قناعة وضمير وسلوك. وقد أظهر البحث أن الوعي الأخلاقي في القرآن يقوم على الرقابة الذاتية، والمسؤولية، والعدل، والرحمة، ومقاومة الهوى، واحترام كرامة الإنسان. كما يبيّن أن الاستدلال القرآني لا ينحصر في مجال العبادة، بل يمتد إلى الأسرة، والمجتمع، والاقتصاد، والقضاء، والعلاقات الإنسانية عامة. وعليه، فإن بناء الوعي الأخلاقي في المجتمعات الإسلامية المعاصرة يحتاج إلى العودة إلى المنهج القرآني لا بوصفه نصوصاً محفوظاً فقط، بل بوصفه منهجاً في التفكير، والتربية، والتركيز، وإصلاح السلوك.

النتائج

١. الاستدلال القرآني منهج شامل يجمع بين العقل، والفطرة، والوجدان، والتاريخ، والوحي.
٢. الوعي الأخلاقي في القرآن مرتبط بالإيمان بالله واليوم الآخر.
٣. القرآن يبني الرقابة الذاتية من خلال ترسيخ معنى مراقبة الله.
٤. القصة القرآنية وسيلة فعالة في ترسيخ القيم الأخلاقية.
٥. الأخلاق القرآنية تشمل الفرد والمجتمع والدولة والاقتصاد.
٦. العدل والرحمة والتقوى من أهم أسس الوعي الأخلاقي القرآني.
٧. الاستدلال القرآني يحول الأخلاق من مفاهيم نظرية إلى ممارسة عملية.

التوصيات

١. ضرورة إدماج منهج الاستدلال القرآني في المناهج التربوية.
٢. تعزيز الدراسات التي تربط بين القرآن وبناء الضمير الأخلاقي.
٣. توجيه الخطاب الديني نحو بناء الوعي لا الاكتفاء بالوعظ العام.
٤. الاهتمام بالقصة القرآنية في التربية الأخلاقية للأطفال والشباب.
٥. ربط التعليم الأخلاقي بالقضايا الواقعية مثل الفساد، والظلم، والغش، والعنف، والتمييز.
٦. تشجيع الباحثين على دراسة أثر الآيات الأخلاقية في إصلاح السلوك الاجتماعي.

المصادر والمراجع القرآن الكريم.

- (١) ابن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٨٤). التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر.
- (٢) ابن مسكويه، أحمد بن محمد. (١٩٨٥). تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق. دار مكتبة الحياة.
- (٣) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. (١٩٦٧). إحياء علوم الدين (ج ٣). مؤسسة الحلبي.

المصادر الأجنبية

4) Rahman, F. (2009). *Major themes of the Qur'an* (2nd ed.). University of Chicago Press.

Sources and References

The Holy Qur'an.

1. Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir. (1984). *Al-Tahrir wa al-Tanwir*. Al-Dar al-Tunisiyyah lil-Nashr.
2. Ibn Miskawayh, Ahmad ibn Muhammad. (1985). *Tahdhib al-Akhlaq wa Tathir al-'raq*. Dar Maktabat al-Hayat.
3. Al-Ghazali, Abu Hamid Muhammad ibn Muhammad. (1967). *Ihya' 'Ulum al-Din* (Vol. 3). Al-Halabi Foundation.

Foreign References

4. Rahman, F. (2009). *Major Themes of the Qur'an* (2nd ed.). University of Chicago Press.